مجلة جامعة الزيتونة الدولية للنشر العلمي
Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing
Issue N.29-Vol.2 / ISSN:2958-8537

العدد التاسع والعشرون (29)، المجلد الثاني
تاريخ 30 – 12 – 2024
(ص360 لـ ص370)

تجديد الفكر الدّيني بين ضرورة الفكرة وآليّات الخطاب الجديد

The Renewing Religious Thought between the Necessity of the Idea and the Mechanisms of the New

د. سلوى بن أحمد
Saloua Ben Ahmed.Dr
جامعة الزّيتونة –تونس
salouabenahmed22@gmail.com
https://orcid.org/0009-0000-7778-0496

ملخّص:

تطرح هذه المقالة إشكاليّة الفكر الدّيني بين ضرورة التّجديد وعوائقه، على اعتبار وأنّ الفكر الدّيني هونســـق من أنساق الفكر الإنساني الذّي يحتاج في كلّ عصر إلى تطوير وتحديث منطلقاته ووسائله وأدواته، ذلك لأنّه من أهمّ الخطابات المؤثّرة على الأفراد والمجتمعات، والتّي توجّه سلوكه وقناعاته.

بالتّالي فإنّ مختلف الدّوافع الابســـتمولوجيّة تقتضـــي فرض فرص جادّة وعقلانيّة بعيدة عن إيديولوجيا الانتماء وإيديولوجيا الفكرة لتحديث وتوظيف فكر ديني معاصر يتواءم مع راهنيّة المستجدّات والإشكاليّات المعاصرة، وفق آليّات تنأى به عن مستنقع الجمود والتّقليد.

الكلمات المفتاحية: تجديد الفكر الدّيني، الأيديولوجيا، الآليّات، الوسائل.

Abstract

This article raises the problem of religious thought between the necessity of renewal and its obstacles, considering that it is one of the systems of human thought, which in every age needs to develop and update its principles, means and tools Considering that it is one of the most important discourses affecting individuals and societies, which guide his behavior and convictions, therefore, the various epistemological motives require the imposition of serious and rational opportunities

away from the ideology of belonging and the ideology of the idea to modernize and Employing contemporary religious thought in line with the current developments and contemporary problems, according to mechanisms that distance it from the morass of inertia and imitation.
Keywords: **Renewal of religious thought**, **ideology**, **mechanisms**, **means**

المقدمة

من المعلوم أنّه لكل حقبة زمنيّة سقفها المعرفي الذي يمكّن من تحديث البناء العلمي، وتطوير أدوات قراءته وفهمه وتأويله، والفكر الدّيني بناء معرفي ينبني على جملة من الأســـس والمعارف الدّقيقة، التّي تجعله من أخطر المنظومات الفكريّة وأهمّها على الإطلاق، وذلك لأنّ جوهره هوالعقيدة أي الإيمان، والمذهب، والدّيانة، والتّعلّق وعقد القلب على الشّيء في المعنى العام، وعلى الإيمان بالله في المعنى الخاص.

ولما كان هذا جوهر ولبّ الفكر الدّيني، فمن البديهي أن نستشفّ ضروريّته وأهمّيته للفرد والمجتمع، على اعتبار وأنّه من أهمّ المسائل المؤثّرة التّي ستوجّه سلوك الفرد إلى نهج معيّن، وفؤاده إلى التّصديق بمسائل معيّنة.

ولهذا من الملح الاعتناء بالفكر الدّيني عناية خاصّـــة تبعث فيه التّجديد والإحياء وفق مقتضـــيات العصـــر، حتّى يتواءم مع راهنيّة المستجدّات وإشكاليّاتها المستحدثة وفق بناء يوصف باللّيونة والعقلانيّة بعيدا عن إيديولوجيّات الانتماء والمعرفة.

أهداف البحث

- إبراز ضرورة تجديد الفكر الدّيني والحاجة إليه.
- مقاربة المعنى بين مصطلح الفكر الدّيني والخطاب الدّيني
- إبراز مشروعيّة تجديد الفكر الدّيني دينيّا وابستمولوجيّا.
- الوقوف على أهمّ معوّقات تجديد الفكر الدّيني.
- تحديد مستويات وآليّات تجديد الفكر الدّيني.

أهمّيّة البحث

تكمن أهمّية هذه الدّراســـة في كونها تطرح إشـــكالية معاصـــرة تلامس مختلف جوانب حياة المســـلم، وهي تجديد الخطاب الدّيني، والذّي هومحور حياة الفرد داخل المجتمعات الإســـلاميّة على اعتبار وأنّه يعنى بالمنظومة التّشـــريعية لسلوكه الذّي يتأثّر بمختلف التّغيّرات الإقليميّة والعالميّة.

منهجيّة البحث

المناهج المعتمدة في هذا البحث هي:

- **المنهج التّحليلي:**

وذلك من خلال تحليل الظّاهرة وتحليل بعض الحيثيّات والآراء الفكريّة.

المنهج النّقدي:

يبرز في بعض المواطن منها مثلا حول بعض الآراء العاكفة على الجمود وأصحاب الأيديولوجيات.

المنهج الاستقرائي:

وذلك عند تتبّع بعض الظّواهر الجزئيّة للإشكاليّة ومن ثمّة استقراء أسبابها ونتائجها.

إشكاليّة البحث

تكمن الإشكالية حول الفكر الدّيني وضرورة تجديده والتّي منها تتفرّع عدّة إشكاليّات أخرى: هل هنالك تباين بين الفكر الدّيني والخطاب الدّيني؟

ما هي ضوابط تجديد هذا الخطاب؟

ما الأهداف التّي ينبغي أن ينشدها الفكر الدّيني الجديد؟

وهل ينجح الفكر الدّيني الجديد في الكشف عن المسكوت عنه في التّراث الإسلامي لفرض الرّؤى الجديدة والإقناع بها ؟ وكيف ذلك؟

الدّراسة

المطلب الأوّل: تجديد الفكر الدّيني: بين المعنى وضرورة الفكرة

مفهوم تجديد الفكر الدّيني

أ. لغة:

تجدّد الشّيء تجدّدا صار جديدا، وجدّد الثّوب تجديدا أي صيّره جديدا، وجَدَّ الشيءُ يَجِدُّ بالكسر جِدَّةً، صَارَ جَدِيداً، وهونَقِيضُ البلى والخَلَقِ.[1]

وقال ابن فارس" سُمِّي كلُّ شيءٍ لم تأت عليه الأيَّامُ جَدِيداً، ولذلك يُسمَّى اللَّيلُ والنَّهارُ الجديدَينِ والأجَدَّينِ، لأنَّ كُل واحدٍ منهما إذا جاءَ، فهوجديدٌ ".[2]

وبناء عليه، يتبيّن أنّ معنى التّجديد لغويّا يدور حول الإعادة والاستعادة والإنعاش والتّحديث والإصلاح...

ب. اصطلاحا:

وتجديد الفكر الدّيني معناه تجديد النّشاط العقلي في المسائل الدّينيّة بمعنى زاوية النّظر لهذه المسائل ليتلاءم مع حيثيّات العصر ومختلف المستجدّات بشرط أن لا تتعارض مع أصول الدّين، "فالدّين هاد وأزليّ خالد لا مكان

1 ابن منظور، جمال الدّين، (1414ه)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج3، ص111.

2 ابن فارس، أحمد زكريّاء، (1399ه)، معجم مقاييس اللّغة، تح محمّد عبد السّلام هاورن، دار الفكر، بيروت، ج1/ ص 409.

فيه للتّجديد، بل الذّي يتجدّد ويتقادم ويبلى إنّما هوالفكر الإســـلامي، والفكر الإســـلامي هوالتّفاعل بين عقل المسلمين وأحكام الدّين الأزليّة الخالدة ".[3]

إنّ التّجديد في بعده الفكري كما ذهب إلى ذلك مالك بن نبي هونشـــاط عقلي لا يتوقف، فهودائم القيام بعملية النّقد والمدارسـة والنظر باسـتمرار في التراث الفكري، والمعارف الإنسـانية والتجارب التاريخية، قصـد تصـحيحها والإفادة منها لتلاءم تطورات الواقع الإنســـاني الجديد، لأن الفكر يمكن أن يموت أويبلى متى توقف عن التّجديد والإبداع.[4]

ولا يمكن الحديث عن تجديد الفكر الدّيني دون الحديث عن دور الخطاب الدّيني على اعتبار وأنّ الخطاب هوالإنتاج الفكري المصرح به، وهوالمقولات والمفاهيم التي تنتظم فيها هذه التّراتيب الفكريّة التّي تعنى بأنساق العلوم الدّينيةّ كالفقه، والعقيدة، والتّصوّف وغيرها...

وتجديد الخطاب الدّيني معناه التّغيير والتّحوير في بنية الخطاب وموضوعاته وأهدافه وغاياته، ومن ناحية ثانية تجديد وســـائله وأدواته، غير أنّه لا يعني المسّ من أصـــل الدّين وجوهره، لكنّه عمليّة ضـــروريّة تمكّن من تناغم الواقع وحاكميّة الشّريعة الثّابتة والمتّسمة بكونها صالحة لكلّ زمان ومكان.

مشروعيّة التّجديد وضرورة الفكرة:

أ. مشروعيّة التّجديد:

من المعلوم أنّ مســـألة تجديد الفكر الدّيني، من المســـائل الملحّة التّي ينبني عليها اســـتقرار المجتمعات الإســـلاميّة المعاصـرة، هذه المجتمعات التّي تتخبّط وسـط مشـاريع ومخطّطات لتغريبها فكريّا وأخلاقيّا وهويتيّا، على اعتبار وأنّ مختلف الأنظمة الحديثة الاشتراكيّة والرأسمالية وغيرها، ساهمت في تراجع مصدريّة الإسلام كدين يحمل ويقدّم القيم الإنسانيّة التّي تشكّل الوعي الفردي والمجتمعي على مستوى المعاملات خاصّة، حتّى صارت هذه الأنظمة مدارس مشوّهة للعدالة الاجتماعيّة، منتجة لقيم وتصوّرات اجتماعيّة تغرس اللاّمسـاواة المجتمعيّة ينخرط فيها الجميع دون رغبة أوحتّى مبادرة منهم، ليجدوا أنفســهم وســط حروب اقتصــادية وإســتراتيجية عميقة وعقيمة في ذات الآن، هدفها إعادة تشكيل التّكتّلات العالميّة وفرض الهيمنة الدّولية، ما ساهم في إضعاف التّضامن الرّوحي والاجتماعي والسّياسي والثّقافي داخل الأوساط الإسلاميّة في سياق هذه العولمة التّي تسحق الهويّة والخصوصيّة تحت عنوان كاذب أغرت به الجميع دون استثناء هو"تبادل الحضارات والثّقافات".

وبناء على ما سبق، فإنّ مسألة تجديد الفكر الديني تكتسب مشروعيّتها من الرّهانات المفروضة التّي تتطلّبها عمليّة التّحرير الرّوحي والثّقافي والاقتصادي والسّياسي العربيّة والإسلاميّة من التّبعيّة الغربيّة.

---

3 التّرابي، حسن، الفكر الإسلامي هل يتجدّد؟، مكتبة الجديد، تونس، ص 23.

4 بن نبي، مالك، (1992)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص 152.

ومسألة التّجديد تكتسب مشروعيّتها أيضا من الموروث الدّيني، أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " .[5]

والحديث واضح المعاني، فعمليّة التّجديد عمليّة دوريّة على اعتبار وأنّه ركن التّطوّر الذّي لا يكون من فراغ، بل لأنّ التّغيّرات الحياتيّة تساهم في تطوّر المجتمع، بالتّالي هومطلب اجتماعي وعقلي ضروري.

ب. دواعي التّجديد:

مراجعة المنظومة العقديّة بما يساهم في تحصين العقل ضدّ التّطرّف والتّقليص من حالة الانحطاط والتّخلّف التّي أصبح يعيشها المجتمع المسلم نتيجة الابتعاد عن روح الدّين الإسلامي والتّركيز على شكليّاته ما أدّى إلى تناقض كبير وواضح بين المسلمين وواقعهم، وذلك لبناء عقل جديد قادر على مواكبة مختلف المتغيّرات العالميّة والقضايا الفكريّة على اعتبار وأنّ التّجديد الدّيني هوأساسا مسألة مجتمعيّة تهم كلّ فئات المجتمع دون استثناء، والعمل على التّوأمة بين العلوم الدّينيّة الإسلاميّة والعلوم الإنسانيّة وذلك لمزيد التّقريب وتنظيم المجال العام (العمومى/ المجتمع–الدّولة) والخاص(الشّخصي/ على مستوى الفرد).

الانشغال بالدفاع دون محاولة إنتاج فكر ديني جديد أوحتى إعادة الأفكار الأساسية للدين للظهور مرة أخرى، والتّصدّي لعمليّات فرض السّيطرة الإمبرياليّة على الشّعوب الإسلاميّة، إلى هذا أيضا إفراز العولمة بتغيراتها الاجتماعية والاقتصادية مجموعة من الأخلاقيات الجديدة انحازت في معظمها إلى جانب القيم والقضايا المادية الاستهلاكية بعيدًا عن القضايا الإنسانية والروحية.

المطلب الثّاني: مشكلات ومستويات تجديد الخطاب الدّيني:

مشكلات الخطاب الدّيني:

من أعمق ما وجدت من آراء تصف وتلخّص مشكلات الفكر الإسلامي والخطاب الدّيني هورأي الدّكتور محمد عمارة حينما قال "إنّ أحداً لا ينكر أن الفكر الإسلامي قد خُلع عن عرشه، وانحسر ظله عن أغلب مملكته إنْ ضعفاً أوقسراً، وخاصة في المساحة الأغلب من دوائر الحكم والدّولة والتّنظيم، وقيادة الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسّياسي والمعرفي للمجتمع الإسلامي، وأيضاً في مساحة كبيرة من تصوّرات الجمهور وممارستهم"[6]، وهذا ما يعني فعلا القطيعة القائمة اليوم بين الفكر الدّيني والواقع المعاصر، فكلّ التّجارب السّوسيولوجيّة لدعم مجتمعاتنا في بلداننا الإسلاميّة نتائجها السّلبيّة تفضح وبقوّة ضعف دور الدّين ضمن هذه المحاولات، وإن دلّ

5 رواه أبوداود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، حديث رقم 3740.

6 عمار، محمّد،(1991)، معالم المنهج الإسلامي، دار الشروق، ص 13.

ذلك على شيء، فهويدلّ على حالة الجمود التي يعيشها الفكر الدّيني اليوم، ما يجعله قاصرا على الإسهام في تنمية المجتمع.

فالفكر الذي لا يجدّد نفسه من الدّاخل لا يمكنه تجديد الواقع كفضاء خارجي، ذلك أنّ للفكر ديناميكية لا تنكشف إلا بعمليّة التّنزيل على الواقع، وإنّ من أهمّ الأسباب التّي كان لها الدّور الرّئيس في هذه القطيعة وفي تراجع دور الدّين كما ذهب إلى ذلك حسن التّرابي، هي:

- الانقطاع عن الأصول والعكوف على الشّروح والفروع والجزئيّات.
- الانقطاع عن العلوم والمعارف العقليّة.
- الانقطاع عن الواقع.

وتمثّل هذه الأخيرة ثلاث مستويات مفصليّة تنبثق عنها الحياة الدّينيّة الفكريّة، وهوفي المقابل ما يساهم بشكل كبير في تراجع الحضارة الإسلاميّة إن لم نقل ذوبانها وتلاشيها وسط هذه الموجة الشّرسة لظاهرة العولمة التّي أتت على أدقّ تفاصيل حياتنا، ولامست مختلف جوانبها.

والحقيقة أنّ مشكلات الخطاب الدّيني لا تقتصر عليه من حيث هوفكر في حدّ ذاته يعتريه قصور، وإنّما هذه المشكلات وجب أن تطرح من حيث هي عمليّة إراديّة متوقّفة على موقف القبول من طرف العقل الفقهي أوالمشيخي بصفة عامّة.

ففي المقابل، فإنّ معضلة الخوف من التّجديد عند البعض أوفلنقل صراع المقلّدين والمجدّدين، أي صراع الحداثة والتّقليد، هي فكرة شائكة قائمة الذّات منذ القدم، على اعتبار وأنّ التّجديد عند البعض يمثّل تعدّيا على الموروث، ومساسا من مصالحهم، ما يجعلهم يعتكفون إلى الجمود بتعلّة قدسيّة النّص الدّيني، غير أنّهم يحيدون عن معنى قدسيّة النّص ومعنى النّص، فالمعنى هونتاج لعمليّة تفسير وتأويل ذلك النّص، والنّص القرآني وهوالفرع الأوّل والمصدر الأوّل لمصادر التّشريع الإسلامي هونصّ حيوي، ديناميكي غير جامد، صالح لكلّ زمان ومكان، فهذه الخاصّيّة الرّمكنيّة تجعله قابلا للتّطويع التّاريخي في السّلّم الزّمني الذّي يؤكّد مصدريّته الرّبانيّة.

يطرح الإشكال السّابق إشكالا جديدا يمثّل حائلا عن عمليّة تجديد الفكر الدّيني، وهوالغلووالتّطرّف والفهم المنقوص لأحكام الإسلام وقواعده، هذا المشكل كان سببا هامّا لضرب الإسلام خاصّة على المستوى الخارجي، على اعتبار وأنّه قد مثّل بابا مفتوحا على مصراعيه لظاهرة الإرهاب.

ويمثّل ضعف ثقافة ووعي بعض دعاة الإسلام اليوم بالقضايا العصريّة وطرق معالجتها، وضعف اطّلاعهم وممارستهم لتقنيات الخطاب الدّعوي الحديثة من أهمّ عوائق تطوّر الفكر الدّيني، خاصّة لما يتميّز به هذا العصر من تقدّم تكنولوجي وذكاء اصطناعي مثّل فرصة للتّخلّص من الإنسان في عدّة وظائف ومجالات.

ومن جهة أخرى فإنّ ضعف أدوات الخطاب الدّيني واتّباع نمط تقليدي بأسلوب يتّسم بالضّعف في إقناع المتلقّي بفحوى الخطاب والفكرة، من أقوى نقاط عزل الفكر الدّيني اليوم عن المجتمع وخاصّة فئة الشّباب.

وتمثّل اللّغة أهم أسباب الفجوة القائمة بين الفكر الدّيني والمتلقّي، على اعتبار وأنّ لغة الخطاب الدّيني التّقليدي لا تتماشى مع العقليّة المجتمعيّة اليوم، ذلك أنّ لغة العصر مختلفة عن اللّغة الموروث، فقد شهد القاموس اللّغوي للمجتمعات الإسلاميّة ظهور مصطلحات جديدة أثرته، تتّسم أغلبها بسرعة الإيقاع وبساطة اللّفظ واختصاره.

وأمّا على المستوى المؤسّساتي، فإنّ العمل على تجديد الفكر الدّيني محدود جدّا خاصّة على مستوى المؤسّسات الدّينيّة التّقليديّة الغير قابلة لإنتاج خطاب ديني قابل للنّقد[7]، بما يفسّر جمود بعض المنظومات التّأويليّة التّي يغلب عليها الموروث الفقهي واللاّهوتي والتّفسيري للنّصوص المقدّسة[8].

جمود المؤسّسات التّعليميّة على مناهج خاصّة منها مؤسّسات التّعليم العالي على برامج ومناهج قديمة لا تستجيب لأبجديّات التّعليم المعاصر وغير مواكبة لسياسات المرحلة.

مستويات وآليات تجديد الخطاب الدّيني:

لا يمكن تجاوز هذه القطيعة إلا بإعادة ربط العقل المسلم من جديد بأصوله الشرعية (كتاباً وسنةً) وتواصله مع العلوم والمعارف العقلية التي أنتجها العقل الإنساني، واستفادته منها باعتبارها مما هومشترك عام بين الأمم والحضارات، وأخيراً ضرورة انخراطه في الواقع، لأن هناك صلة عميقة بين الفكر والواقع "فحين انقطع فكرنا عن الواقع حرم من مدد يصله بأصول الحياة، وغدا محفوظات نقليّة، والفكر الإسلامي الذي نشأ في سياق حركة الانخطاط التي لازمتنا دهراً طويلاً، كان فكراً منحطاً دهراً طويلاً، لأنّه إذا انحط الواقع انحط الفكر، وإذا تحرك الفكر تحرك الواقع فهما متلازمان تماماً".[9]

أ. على مستوى القضايا:

تجديد الخطاب الدّيني على مستوى القضايا يكون على مستويين، المستوى الأوّل طرح المسائل الجديدة التّي تمثّل إشكاليّات العصر، في أي مجال كانت، سواء الاجتماعي، السّياسي، الاقتصادي، الثّقافي، الأخلاقي وغيره، ذلك أنّ الخطاب الدّيني قادر على أن يجيب ويجد حلولا لكلّ المعضلات على اعتبار وأنّ الدّين الإسلامي دين حياة وحيوي صالح لكلّ زمان ومكان، لا يحتاج إلاّ لعقول حكيمة وراشدة تتقن فهم الظّواهر وشرحها واستمداد حلول لها.

---

7 ياسين، السّيّد، (2007)، الدّيموقراطيّة وحوار الحضارات: تحليل للأزمة وتفكيك للخطاب، سلسلة الفكر، مكتبة الأسرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ص 138.

8 عبد الفتّاح، نبيل، ملاحظات حول إشكاليّات التّجديد في الفكر الإسلامي المصري، مجلّة آفاق سياسيّة العدد 12، المركز العربي للبحوث والدّراسات، القاهرة، ديسمبر 2014، ص76.

9التّرابي، حسن، (2000)، قضايا التّجديد: نحوفهم أصولي، دار الهادي للطّباعة والنّشر، بيروت، ص16.

وأمّا المستوى الثّاني هوالعمل على أن تكون فلسفة الأحكام وفقه النّظريّات جزءا من قضايا الخطاب الدّيني الجديد، ومعنى ذلك معرفة الأسباب والحكم الكامنة وراء الاعتقادات والأحكام وذلك من خلال النّصوص التّشريع ونتائج العلوم المختلفة اليوم خاصّة منها الفيزيائيّة والطّبيعيّة وغيرها، والتّي تكشف عن حقائق جديدة تمكّننا من فهم أسباب التّشريع.

وعلى مستوى تجديد القضايا لا بدّ من الاستناد إلى القيم الإسلاميّة وربط الأحكام بها وأهمّ هذه القيم الحقّ والخير والعدالة وغيرها، إنّ مختلف القضايا والمسائل الحديثة اليوم بحاجة لتناولها والبحث فيها من زوايا علميّة، وفق أنماط تفكير وآليّات جديدة.

ب. على مستوى المنهج والأسلوب:

والسّؤال الذّي يطرح نفسه في هذا السّياق، هل أنّ المناهج القديمة قابلة للتّوظيف ولاستنطاق ومقاربة المعرفة الدّينيّة والإشكالات الحديثة؟

طبعا الإجابة على هذا السّؤال هي لا، وذلك لأنّ التّغيير الذّي حصل في بنية العلوم الدّينيّة هوتغيير كيفي وليس كمّي فقط، لا يقبل تعدّد المعاني أوالاحتمالات، ولا الاعتراف بالقصور أوالنّقص أوبالمعرفة الجزئيّة، ولا الاعتراف بالتّخصّص في ميدان معيّن، أوبإمكانيّة عدم الوصول إلى حلول ناجزة وسريعة وجاهزة لكلّ الأمور والقضايا، أي باختصار لا يقبل النّقاش، إنّه يملي ولا يحاور، يطلب ولا يأخذ، يفرض ولا يتقبّل، إنّه يأخذ بالجملة أويرفض بالجملة، وإذ تعرّض هذا الفكر للنّقد طلب بديلا متكاملا، والبديل الذّي يطلبه ليس نظرة أخرى، ولكن بديلا من النّوع ذاته، أي نموذجا قميعا كاملا".[10]

الكثير من مفكّروالنّهضة حملوا هاجس للسّؤال المنهجي، لقد تأسّس المنهج العربي المعاصر وفق أركيولوجيّة دينيّة واجتماعيّة واقتصاديّة وفلسفيّة، ولقد تشكّلت هذه البنية من تفاعل عدد من التّيّارات أهمّها التّيّار الدّيني الإسلامي، والحر اللّيبرالي والتّيار القومي والماركسي والشّيوعي والاشتراكي، بالتّالي أنتجت جلّ هذه التّيّارات باقة من المناهج التّي وظّفت وفق خصوصيّات زوايا نظرها المتباينة.

إنّ الحديث عن تطوير مناهج الخطاب الدّيني بداية يتطلّب تطوير منهج عرض الخطاب بحيث ينبغي أن تتوافر في الخطاب الديني المعاصر مجموعة من الشّروط أهمّها التّأثير في المتلقّي، ولا يتأتّى ذلك إلاّ بالانضباط التّام بمنهجيّة الخطاب، ومنه يتأتّى التّنظيم والتّرتيب المنطقي في عرض الأفكار، والإيجاز في الشّرح والطّرح منعا لتشتّت ذهن المتلقّي، وتبسيط المعلومة لرفع الغموض والإبهام، والتّركيز على المصطلح وضبطه، وحسن الرّبط بين الأسباب والمقدّمات والنّتائج.

10 غليون، برهان، (1989)، مجتمع النّخبة، دار البراق للنّشر والتّوزيع، تونس، ص 225.

لقد اعتمد بعض المفكّرين المعاصـــرين مناهج حديثة في فهم الظّواهر وتأويلها منها المنهج الإبســـتمولوجي، والإبستمولوجيا مصطلح إغريقي يتألّف من مقطعين Epistemo أخذها "ميشال فوكو" من الإغريقية وأدخلها في القاموس الفلســفي وتعني المعرفة، وهي عند أفلاطون المعرفة العقليّة وتقابلها المعرفة الكهنيّة، و Logosفيعني العلم بوجه عام نظريّة، دراسة، نقد، فهي إذن علم المعرفة،أونظرية المعرفة.[11]

فالمنهج الابستمولوجي هودراسة نقديّة لعلم من العلوم أولجملة منها، وهو"مجموعة العلاقات التّي يمكن اكتشافها بين العلوم، في مرحلة معيّنة عندما نحلّلها في مســـتوى انتظام مكوّناتها الخطابيّة"[12]، وقد اعتمد على هذا المنهج كثيرا محمّد عابد الجابري في قراءة التّراث الدّيني، لكن الجدير بالذّكر أنّ الجابري سقط في فخّ الخلل المنهجي، فإنّ البحث من خلال منهج أحادي ومحاولة تطبيقه وإســـقاطه على نظام غريب عنه لا يمثله، لن يؤدّي إلاّ لفشـــل معرفي عميق، ما يؤدّي إلى فهم الظّواهر والنّصوص بصورة أحاديّة من زاوية واحدة، لهذا في مواضع متقدّمة حاول الجابري التّوسّـــل بالمنهج التّاريخي، ويتجلّى ذلك كثيرا في كتابه "المثقّفون في الحضـــارة الإســـلاميّة: محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد"، أين صرّح أنّ "طرحه للقضيّة هوطرح منهجي تاريخي[13].

والمراد من خلال ما سبق، الوقوف على قصور أحاديّة المنهج في إنتاج المعرفة الدّقيقة، وأنّ تعدّد المناهج يمثّل تجربة وظائفيّة متكاملة تُمكّن من إنتاج معرفة وخطاب متّزن، فلا يمكن اعتماد المنهج التّأريخي بصـــورة فرديّة دون ارفاده بالمنهج التّحليلي الذّي يمكّن من فهم الظّواهر وأســـبابها ونتائجها، بالتّالي فإنّ العلاقة بين المناهج هي علاقة متداخلة متكاملة، تمكّن من إضعاف النّزعة الأيديولوجية خاصّة في المشاريع الفكريّة الحديثة التّي تقف عند أزمة الموروث والمنهج، الموروث والعصر.

إنّ عصـــرنة المناهج وتطويرها، والعمل على حســـن ودقّة توظيفها، أمرا بات ملحّا لتكوين خطاب عقلاني مقنع يرتكز على بنية منتظمة في نسقها المعرفي والدّلالي.

ج. على مستوى اللّغة:

على اعتبار وأنّ الخطاب هو"توجيه الكلام نحوالغير للإفهام" [14]، وهوكذلك "اللّفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هومتهيئ لفهمه"[15]، فإنّ التّجديد على المستوى اللّغوي هوالتّطوير في الشّكل والمصطلح اللّغوي أي لُغة الخطاب وطبيعة الطرح، بحيث ينسجم مع طبيعة المخاطَب ومقتضى الحال من الزّمان والمكان.

---

11 زكريّاء، فؤاد، (1962)، نظريّة المعرفة والموقف الطّبيعي للإنسان، دار مصر للطّباعة، مصر، ص 12.

12 Foucault, Michel,(1969) L'archéologie du savoir, GALLIMARD, P250

13 الجابري، محمّد عابد، (1995)، المثقّفون في الحضارة الإسلاميّة: محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ص86.

14 الزّبيدي، محمّد مرتضى، (2011)، تاج العروس من جوهر القاموس، دار الكتب العلميّة، ج1، ص70.

15 الآمدي، سيف الدّين، (2012)، الإحكام في أصول الأحكام، دار الصميعي، الرّياض، ج1، ص132.

ZIU JORNAL
مجلة جامعة الزيتونة

وتمثّل اللّغة وسيلة للتّواصل، ووسيلة للتّأثير والتّأثّر بما ينتج عمليّات التّفاعل بين الأفراد من خلال إبلاغ المعنى وإنتاج المعرفة، بالتّالي فإنّ الرّمز اللّفظي من أهم عناصر الخطاب والتّخاطب، وهويعكس صورة المجتمع ومدى تطوّر النّسق الدّلالي للغته المعتمدة، على اعتبار وأنّ تطوّر المجتمع وتتالي الأجيال، عامل رئيس لتطوّر اللّغة واتّساع معجمها اللّفظي والدّلالي بحسب خصائص وسمات ذلك المجتمع.

ومن المعلوم أنّ لغة المجتمعات الإسلاميّة المعاصرة تتّسم بسرعة إيقاعها اللّفظي واقتضابه ما يستدعي أن تكون لغة الخطاب الدّيني من جنس لغة المجتمع، فالمطلوب إذن اعتماد لغة ذات عبارات بسيطة لسهولة الفهم والاستيعاب بما معناه الاعتماد على لغة المعاملات والحياة اليوميّة القريبة من النّاس، يمكننا من خلالها طرح وبسط مختلف إشكالاتهم دون المساس طبعا بمقوّمات اللّغة أوتجريدها من تراكيبها، ولكن بمعنى مراعاة أن تكون لغة الخطاب هي عين ثقافة ذلك المجتمع فإن أيّ لغة هي وليدة ثقافة معيّنة ووليدة مجتمع معيّن.

الخلاصة

إنّ تجديد زوايا النّظر للمسائل الدّينيّة وتطوير عمليّات النّقد والدّراسة للتّراث الفكري الدّيني شرط أساسي وضروري لإنماء هيكلة البناء الدّيني وتوسيعها، وهي عمليّة ضروريّة للحفاظ على استقرار المجتمعات الإسلاميّة، والحفاظ على منظومة التّشريع الإسلامي كمنظومة سارية المفعول في خضم هذا التّطوّر التّكنولوجي القائم على العولمة وتوسعة النّفوذ الغربي.

إنّ مختلف هذه الرّهانات المفروضة تكسب الفكر الدّيني مشروعيّة كبيرة للتّجديد، فضلا عن المشروعيّة التّي يكتسبها من الدّين نفسه، على اعتبار وأنّ التّجديد سنّة يفرضها الإسلام حتّى يكتسب ميزته بكونه صالح لكلّ زمان.

إنّ تراجع دور الدّين وضعفه يدلّ على حالة الجمود التّي تعتري الفكر الدّيني المعاصر ما يجعله قاصرا على الإسهام في تنمية المجتمع، وهذا التّراجع ناجم عن عدّة مشكلات أساسيّة أهمّها الانقطاع عن الأصول والعكوف على الشّروح والفروع والجزئيّات والانقطاع خاصّة عن العلوم والمعارف العقليّة، وعن الواقع، ما يدلّ على صراع قويّ بين فريقين، فريق المقلّدين العاكفين على الموروث وفريق المجدّدين الطّامحين لمجارات تيّار الحداثة.

إنّ آليّات ومستويات تجديد الخطاب الدّيني ترتكز أساسا على ثلاث أصعدة رئيسيّة بإمكانها أن تجعل الفكر الدّيني مواكب لسياسات المرحلة الرّاهنة، وهي القضايا والمستوى اللّغوي والمستوى المنهجي.

قائمة المراجع

ابن فارس، أحمد زكريّاء، (1399هـ)، معجم مقاييس اللّغة، تح محمّد عبد السّلام هاورن، دار الفكر، بيروت.

ابن منظور، جمال الدّين، (1414هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

الآمدي، سيف الدّين، (2012)، الإحكام في أصول الأحكام، دار الصميعي، الرّياض.

بن نبي، مالك، (1992)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، بيروت.

التّرابي، حسن، الفكر الإسلامي هل يتجدّد؟ مكتبة الجديد، تونس، ط/ دت.

التّرابي، حسن، (2000)، قضايا التّجديد: نحوفهم أصولي، دار الهادي للطّباعة والنّشر، بيروت.

الجابري، محمّد عابد، (1995)، المثقّفون في الحضارة الإسلاميّة: محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت.

أبوداود، السجستاني، (2009)، سنن أبي داوود، تح شعيب الأرنؤوط، دار الرّسالة العالميّة.

الزّبيدي، محمّد مرتضى، (2011)، تاج العروس من جوهر القاموس، دار الكتب العلميّة.

زكريّاء، فؤاد، (1962)، نظريّة المعرفة والموقف الطّبيعي للإنسان، دار مصر للطّباعة، مصر.

عبد الفتّاح، نبيل، (2014)، ملاحظات حول إشكاليّات التّجديد في الفكر الإسلامي المصري، مجلّة آفاق سياسيّة العدد، المركز العربي للبحوث والدّراسات، القاهرة.

عمار، محمّد، (1991)، معالم المنهج الإسلامي، دار الشروق.

غليون، برهان(1989)، مجتمع النّخبة، دار البراق للنّشر والتّوزيع، تونس.

ياسين، السّيّد، (2007)، الدّيموقراطيّة وحوار الحضارات: تحليل للأزمة وتفكيك للخطاب، سلسلة الفكر، مكتبة الأسرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة.

Foucault, Michel (1969) , L'archéologie du savoir, GALLIMARD.